

حركات التحرر الوطني في مؤلفات فرانز فانون: دراسة نظرية مع التطبيق على ثورة التحرير الجزائرية والمقاومة الفلسطينية

أ.م.د. مريم وحيد

أستاذ العلوم السياسية المساعد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

جامعة القاهرة وجامعة الجلالة

الملخص:

يُعد فرانز فانون مفكراً سياسياً بجانب كونه عالم نفس فرنسي ناضل طويلاً ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر وقَدّمت كتاباته رؤية لكيفية التحرر من الاستعمار والاحتلال. ويُعد من أهم مفكري مدرسة ما بعد الكولونيالية. تتبع أهمية دراساته لكونها تشرح الاستعمار مبنيةً الآليات التي يتبعها للسيطرة على الشعوب، الآثار النفسية للقهر كما تقدّم تصوراً للمسارات المختلفة للتحرر الوطني.

من كتابات فرانز فانون "معذبو الأرض" ١٩٦١ و"بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" ١٩٥٢ والتي تتناول بعمق سيكولوجيا القهر وعملية التحرر من الاستعمار وحق تقرير المصير. فقد اهتم كثيراً في أعماله بكيفية مواجهة التأثير النفسي للاستعمار.

كان فانون طبيباً، وعمله كطبيب نفسي جعله يدرك ويحلل آثار العنف الكولونيالي على الجزائريين، بجانب ذلك كان فانون ناشطاً سياسياً ومنظراً لمدرسة ما بعد الكولونيالية. أدرك فانون كثيراً التأثير النفسي السلبي على الشعوب التي تتعرض للاحتلال وكيف يؤثر ذلك على الوعي الإنساني. وقد قام فانون بدراسة ثورة تحرير الجزائرية وساندها في كتاباته كما تطرق أيضاً لكفاح الشعب الفلسطيني للتحرر من الاحتلال الاسرائيلي.

وقد عني أيضاً فانون في كتاباته بدراسة حركات التحرر الوطني في كل زمان ومكان ومنها حركة المقاومة الفلسطينية. كما استعرض فرانز فانون في كتاباته حق تقرير المصير للفلسطينيين. أخذاً في الاعتبار أن كفاح الشعب الفلسطيني ضد إسرائيل هو كفاح أيضاً ضد العنصرية وغياب العدالة.

فيما بعد أحداث السابع من أكتوبر، لا شك أن تلك الأحداث سيكون لها تأثير نفسي سلبي للغاية على الفلسطينيين. تُرى كيف يمكن مقاومة هذه الآثار النفسية السلبية؟

ندرس هذه الآثار النفسية وكيفية مقاومتها في ضوء كتابات المفكر عالم النفس فرانز فانون الذي استعرض كيفية مقاومة هذه الآثار في كتاباته.

الكلمات المفتاحية: حركات التحرر الوطني- ما بعد الكولونيالية- حق تقرير المصير- الآثار النفسية للحروب- ثورة التحرير الجزائرية- المقاومة الفلسطينية.

مقدمة

حفل التاريخ الإنساني بعدد من المفكرين الذين ناضلوا من أجل حقوق الإنسان والمساواة بين البشر بغض النظر عن العرق واللون والاثنية والدين والجنسية والانتماء السياسي والطبقة والمستوى التعليمي. من هؤلاء المفكرين في القرن العشرين تحديدًا فرانز فانون. كان فانون مثل الكثير من المناضلين نحو الحرية في العالم مثل مارتين لوثر كينج وتشبي جيفارا ونلسون مانديلا ومهاتما غاندي ومالكوم إكس. ناضل فانون من أجل تحرير شعوب العالم الثالث من الاستعمار. أحب فانون الجزائر حباً شديداً وشارك في حرب التحرير الجزائرية، وكان داعمه للثورة الجزائرية هو دعم للإنسانية ولحقوق الشعوب في الاستقلال عن الاحتلال. فلم يكن فانون مفكراً يعيش في برج عاجي بعيداً عن معتزك السياسة ولكنه كان مفكراً ومناضلاً سياسياً رأى أنه لا بد أن يتم تغيير الواقع من خلال العمل السياسي⁽¹⁾. ويُعد فانون من أبرز مفكري مدرسة "ما بعد الكولونيالية" التي انتقدت الاستعمار وانتقدت الحداثة ومفكريها الذين رأوا أن الغرب هو الحقيقة الوحيدة ومرتكز الكون.

وقد عرف الفكر المعاصر عدد من المفكرين المناضلين ضد العنصرية الذين اتبعوا نفس النهج مثل مارتين لوثر كينج في خطابه الأشهر "لدي حلم"⁽²⁾ الذي وصف فيه المجتمع الذي يريد أن يعيش به. فهو مجتمع ليس فيه أي مجال للعنصرية أو التمييز بين البيض والسود. ألقى خطابه في العاصمة الأمريكية واشنطن دي سي أمام النصب التذكاري للنكولن الذي قاد حركة تحرير السود أثناء الحرب الأهلية الأمريكية. فكان مفكراً وناشطاً سياسياً في الوقت ذاته.

⁽¹⁾ Frantz Fanon, <https://www.britannica.com/biography/Frantz-Fanon>

⁽²⁾ I Have a Dream speech by Martin Luther King Jr HD (subtitled), <https://www.youtube.com/watch?v=vP4iY1TtS3s>

أما فانون فقد كان طبيباً نفسياً وفي نفس الوقت انضم إلى جبهة التحرير الجزائرية وساهم في هذه الحرب، وقد توفي قبل أشهر قليلة من حصول الجزائر على استقلالها. بالإضافة إلى نضاله في جبهة التحرير الجزائرية عمل أيضاً كمحرر في جريدة "المجاهد" وكما ساهم في تدويل قضية التحرر الوطني الجزائرية من خلال المؤتمرات الدولية حيث كان ممثلاً للحكومة المؤقتة الجزائرية لبعض الوقت^(٣).

في الأسطر القادمة سنتناول نبذة عن حياة فانون وأبرز كتاباته. وسوف نستعرض عدداً من القيم والمبادئ الأساسية التي قام عليها فكر فانون.

أولاً: نبذة عن حياة فرانز فانون (١٩٢٥-١٩٦١):

ولد فرانز فانون في جزيرة مارتينيك الفرنسية في شرق البحر الكاريبي، كان فرانز عمر فانون أو كما عُرف أيضاً بإسم إبراهيم فرانز فانون من أبرز الكتاب الذين انتقدوا الكولونيالية. اعتمدت أعماله على الربط بين الشعر وعلم النفس والفلسفة والنظرية السياسية. وقد امتد تأثيره على مفكري الجنوب تحديداً. ذاع صيته في بداية حياته في أوساط اليسار في فرنسا ثم سرعان ما انتشرت أفكاره في العديد من دول العالم.

كانت المارتينيك التي وُلِدَ فيها فانون تشكل مع جزر الأنتيل الصغرى منطقة تحت السيطرة الفرنسية منذ السابع عشر للميلاد. وكان الأفارقة في الجزيرة يتعرضون للاضطهاد الشديد. انتمى فانون إلى أسرة ميسورة الحال في المارتينيك بالمقارنة بالأسر الأخرى وتلقى تعليم ممتاز في المدارس الفرنسية. وكان فانون في بداية حياته شديد الإعجاب بالثقافة الفرنسية واللهجة الفرنسية والقيم الفرنسية.

التحق فانون بالجيش الفرنسي وأثناء عمله كجندي في الجيش الفرنسي في مهام في المستعمرات شاهد عن قرب كيف ظلم الفرنسيون الشعوب الإفريقية وإلى أى مدى قام الجنود الفرنسيون بكل توحش وقسوة بالقيام باعتداءات وحشية على الجزائريين.

في هذه الفترة قرر أن يغير من المسار الذي التحق به وقرر دراسة طب الأسنان وسرعان ما غيّر التخصص إلى الطب النفسي. وطلب أن يعمل بالجزائر. وعمل بمستشفى البلدية في الجزائر. في هذه الفترة رأى عن قرب الآثار السلبية النفسية الكبيرة للاستعمار الفرنسي على الجزائريين. مما دفعه للانضمام لحركة التحرير الجزائرية.

^(٣) إكرام بن عيسى، حياة فرانز فانون ونضاله مع الثورة الجزائرية (١٩٢٥-١٩٦١)، مجلة القرطاس،

العدد الثامن، جانفي، ٢٠١٨.

واعتبر عدد كبير من الكتاب أن فانون من أبرز منظري الثورة الجزائرية. فكان من رجال أول نوفمبر ١٩٥٤.

فيما يتعلق بسياق المفكر فأبرز محطات حياته كانت ولادته في المارتينيك، وعُرف عنه أنه كان طبيباً نفسياً وثائراً. كما كان مؤيداً لحرب التحرير الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي وكان عضواً في جبهة التحرير الجزائرية. ويُعد من أبرز المفكرين ضد الاستعمار وكان ملهماً للعديد من حركات التحرر ضد الاستعمار في العالم لعقود طويلة.

كتب العديد من المؤلفات منها بشرة سوداء وأقنعة بيضاء في عام ١٩٥٢، معذبو الأرض في عام ١٩٦١، العام السابع للثورة الجزائرية أو الاستعمار يموت عام ١٩٥٩، نحو ثورة إفريقية ١٩٦٤. كان مفكر راديكالي يسافر من الكاريبي إلى أوروبا وأمريكا الشمالية وإفريقيا جنوب الصحراء. وفي عام ٢٠١٥ تم تجميع عدد من كتاباته غير المنشورة مثل "كتابات حول الاغتراب والحرية".

لدى فانون العديد من الكتابات "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" ١٩٥٢، "معذبو الأرض" ١٩٦١، "الاستعمار يموت" ١٩٥٩ الذي يوثق فيه فانون العام الخامس للثورة الجزائرية، من أجل ثورة إفريقية ١٩٦٤ والذي نُشر عقب وفاته.

توفي فانون في الولايات المتحدة الأمريكية بعد مرضه بسرطان الدم (اللوكيميا)، وقد أوصى بأن يتم دفنه في الجزائر. وقد دُفن في تونس ثم نُقل رفاته إلى الجزائر^(٤).

في بداية حياته كتب فانون العديد من الكتابات الأدبية "العين الغريقة، والأيدي المتوازية والمؤامرة" التي انتقد فيها الاستعمار. ثم جاء مؤلفه "التجربة المعاشة لزنجي" والذي أثار النقد الشديد له في فرنسا. لم يتأثر فانون بذلك وسرعان ما كتب مؤلفه الأبرز "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء". الصادر عن دار سويل Seuil في عام ١٩٥٢. انتقد فيه ممارسات الاستعمار الفرنسي في المستعمرات فكان الاستعمار بجانب كونه استعمار سياسي واقتصادي كان استعمار لغوي وثقافي أيضاً. كان فانون ثائراً ولم يشعر أنه يمكن أن يتم الخلاص من الاستعمار الفرنسي بالصور السلمية فحسب. في ذلك الوقت لم يطالب فانون بالثورة التامة على الاستعمار الفرنسي. كان فانون فقط متأثراً بمشاكل ذوي البشرة السوداء في المارتينيك فكان تركيزه على التمييز المنبني على اختلاف لون

⁽⁴⁾Franz fanon (2019), <https://plato.stanford.edu/entries/frantz-fanon/>

البشرة في مؤلفه الأول. لم يفكر فانون أبداً في الثورة على الاستعمار الفرنسي في ذلك الوقت. فكان شاغله الرئيسي هو كيف يمكنه أن يناضل فكرياً من أجل منع استغلال ذوي البشرة السوداء.

كان انتقال فانون إلى الجزائر سنة ١٩٥٣ نقطة تحول مفصلية في فكره السياسي. عند عمله كطبيب نفسي رأى بنفسه ظلم الاستعمار وآثاره السلبية الكبيرة. تفرغ بعد ذلك للعمل في صفوف الثورة الجزائرية ولتحرير مجلة اسمها " المجاهد ". تأثر فانون كثيراً بالثورة الجزائرية واندمج فيها بقوة. كان يشجع المفكرين الفرنسيين أمثال جون بول سارتر وسيمون دي بوفوار على العمل الفعال لفائدة الجزائر ومساندة ثورة التحرير الجزائرية^(٥). التحق فانون بصفوف المناضلين الجزائريين متبنياً قضيتهم ومدافعاً عنها دفاعاً مستميتاً. اتخذ موقفاً مضاداً للاستعمار الفرنسي للجزائر خاصة عندما لمس عن قرب الآثار النفسية السيئة للاستعمار على المواطنين الجزائريين عندما عمل كرئيس مصلحة في مستشفى الأمراض العقلية ببلدية بالجزائر.

في عام ١٩٥٩، نشر فانون يومياته في الجزائر إبان حرب التحرير الجزائرية وكان عنوان الكتاب باللغة الفرنسية "العام الخامس للثورة الجزائرية" والذي تُرجم إلى الإنجليزية بعنوان مختلف "الاستعمار يموت". من خلال هذا الكتاب تناول العديد من الموضوعات مثل "المرأة في خضم حرب التحرير، استخدام الراديو كأداة في يد الاستعمار، الطب، الأسرة" فمن خلال هذا الكتاب قدّم تشريحاً للمجتمع الجزائري في أثناء الحرب. في كتابه الأشهر "معذبو الأرض" الذي نُشر أيام قليلة قبل وفاته في عام ١٩٦١، تناول الطبيعة العنيفة للاستعمار ودور العنف في التحرر من خلال تناول التأثير النفسية السلبية للقهر الاستعماري.

وبعد وفاته تم نشر كتابه "نحو ثورة إفريقية" في عام ١٩٦٤، وهو كتاب مكون من مجموعة من المقالات التي نُشرت في المجلة التي كان يقوم بتحريرها "المجاهد" حول العنصرية، حرب التحرير والآثار النفسية والنفسية الجسدية psychosomatic للاحتلال كما تم نشر خطاب استقالته في عام ١٩٥٦ من التعيين بالمستشفى^(٦).

^(٥) صالح الدين ملفوف، الثورة الجزائرية في فكر فرانز فانون، مجلة تمثلات/ جامعة مولود معمري تيزي

وزو، المجلد ٨ العدد ١ لسنة ٢٠٢٤، ص ص ٢٠-٣٦

^(٦) Franz Fanon (1994), **Towards an African Revolution**, Haakon Chevalier (Trans.), (New York: Grove Press).

تعنى الآثار النفسية الجسدية الأمراض التي يشكو فيها المريض من أعراض جسدية ولكن السبب الرئيسي في المرض هنا يكون نفسياً وليس جسدياً.

ثانياً: رؤية فانون لمواجهة المستعمر في كتاب "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء":

نشر فانون كتابه المعنون "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" في عام ١٩٥٢ عندما كان يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً فقط. تناول فانون مسألة قهر ذوي البشرة السوداء والعنصرية تجاههم وذاتية السود في المستعمرات. تناول كيف أثرت العنصرية ضد السود على ذاتية قوى الاحتلال وأيضاً الشعوب المحتلة.

يُعد كتاب "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" من أوائل كتابات فانون والتي جسدت موقفه الفكري في بداية حياته الفكرية. في هذا الكتاب ظهر تأثير فانون بنشأته في المارتينيك ونقده لمعاملة الرجل الفرنسي الأبيض للسود في جزر الأنتيل. مما دفعه في هذا الكتاب إلى نقد الرق والمطالبة بضرورة تحرير السود من قيد الاستعمار. فكان يتم التمييز هنا بناء على اختلاف اللون لا أكثر وبالتالي كان يتم اعتبار السود مواطنين من الدرجة الثانية. حتى وإن حصل الرجل الأسود على تعليم عالي أو عاش في أسرة برجوازية عليا في المجتمع لن يستطيع أن يحصل على حقوق العدالة والمساواة والحرية والعيش في مستوى اجتماعي جيد لأنه أسود.

من مسمى الكتاب نلاحظ استخدام فانون لمسمى "أقنعة" لوصف الرجل الأبيض المحتل، ففي رأيه هو يرتدي قناع التحضر والتقدم بأنه قد جاء ليحرر شعوب العالم النامي ولكنه في واقع الأمر يستنزف ثروات وطاقات وإمكانيات شعوب الدول النامية. يُقدّم فانون من خلال كتابه "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" (٧) تحليلاً متعدد الأبعاد عن تأثير الاحتلال على الوعي والتحليل النفسي والفينمنولوجيا والوجودية ونظرية العرق. كتب المفكر الكبير جون بول سارتر مقدمة الكتاب.

رأى فانون أن الاستعمارية هي نوع من السيطرة هدفها النهائي هو النجاح في تقسيم الشعوب، وأن العنف هو خصيصة أساسية للاحتلال. فالعنف هو أداة من أدوات التحكم الاجتماعي والتحكم السياسي. كان فانون ناقداً لمؤسسة الكولونيالية. كما كان منتقداً للحكومات التي تشكلت بعد الخلاص من الاحتلال مباشرة بدعوى أنها فشلت في

(7) Franz Fanon (2008), **Black Skin, White masks**, Richard Philcox (Trans.), (New York: Grove Press).

الخلاص من تأثير الاستعمار ولتقديم وعي قومي لتحرير الشعوب. كما رأى أن الحكومات التي تشكلت مباشرة بعد الخلاص من الاستعمار تورطت في الفساد والانقسام العرقي والإثني والاعتماد على اقتصاد الدول المحتلة.

يُعد الكتاب دراسة حول الحقوق المدنية واعتبره الكثير من الكتاب من أهم الكتب في مجال الكفاح الثوري ومواجهة الاستعمار والكولونيالية في العالم أجمع.

في كتابه تناول أيضاً مسألة اللغة حيث استعرض كيف اهتم الفرنسيون باللغة لنشر ثقافتهم. ولكنه من وجهة نظر الشعوب المحتلة رأى فانون أنه عندما يتحدثوا بلغة المستعمر فإنهم يفقدون ذاتهم ويخضعون لها. وفي النهاية لا يمكنهم في النهاية أن يحصلوا على الرضاء من النخبة الفرنسية حتى وإن تحدثوا الفرنسية بطلاقة.

في هذا الكتاب تناول كيف يمكن أن يحيا السود في مجتمع يحكمه الرجل الأبيض. فرغبة الرجل الأسود أن يحيا حياة الرجل الأبيض همشه من ذاته وأن الإدماج والاستيعاب الشديد داخل المجتمع نزع منه هويته وقيد حريته.

ثالثاً: أبرز أعمال فانون معذبو الأرض والعالم الخامس للثورة الجزائرية:

يُعد كتاب "معذبو الأرض" تشريحاً للاحتلال الفرنسي وكيف كان يتحكم في الشعوب الإفريقية. ويُعد بمثابة صرخة في وجه الغرب الاستعماري. لم يكن مخصصاً لتشريح مشكلات دولة بعينها ولكن صرخة العالم الثالث وصراعه مع العالم الأول. وقد جاء هذا الكتاب بعنوان "معذبو الأرض" بصورة عامة فلم يتحدث فقط هنا عن قهر ذوي البشرة السوداء مثلما تطرق في كتابه "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء". وذلك لإدراكه أن القهر من الاستعمار لا يتم بناءً على العرق أو لون البشرة فحسب.

تأثر فانون تأثراً شديداً بثورة التحرير الجزائرية. ركز أيضاً على ضرورة أن تتحد شعوب العالم الثالث الواقعة تحت قهر وظلم الاستعمار لمواجهته. أشار فرانز فانون في كتاباته لمفهوم تقرير المصير. ففي كتابه "معذبو الأرض"⁽⁸⁾ أشار إلى أن حق تقرير المصير هو حق ضروري لشعوب العالم الثالث وأن الطريق نحو تقرير المصير ليس سهلاً.

⁽⁸⁾ Franz Fanon (2005), *The Wretched of the Earth*, Richard Philcox (Trans.), (New York: Grove Press).

هذا الكتاب يتناول الحقوق المدنية وحركة التحرر من الاستعمار ودراسة التأثير النفسي للاستعمار ومطالبات ذوي البشرة السوداء في العالم للتحرر من وطأة الظلم والاستعمار. وقد نُشر لأول مرة عام ١٩٦١، يُعد هذا الكتاب من أبرز الكتب في تحليل العرق والاستعمار والتروما النفسية والصراع الثوري.

كُتب هذا الكتاب في خضم حرب التحرير الجزائرية من الاستعمار الفرنسي والذي نُشر في عام ١٩٦١. كان عمل فانون مؤثراً في حركات التحرر الوطني من خلال منظور الطبقة والعرق والثقافة الوطنية والعنف في الصراع من أجل الحرية.

يركز فانون في كتاباته على التدهور الاقتصادي والنفسي الذي يلحقه الاستعمار بالشعوب المحتلة. ربط فانون بين تأثير الحرب الاستعمارية والمرض النفسي. وقد رأى ضرورة أن يرتبط الكفاح من أجل الحرية ببناء الثقافة والهوية الوطنية والذي ارتبط في وجهة فانون بضرورة الثورة. فالثورة هي الحل للخلاص من المستعمر.

وفيما يتعلق بالعنف فقد تناول في كتابه "معذبو الأرض" كيف يقوم المُحتل باستخدام العنف على الشعوب المحتلة. رأى فانون أنه لا مناص من استخدام العنف من قبل الشعوب المحتلة وذلك بسبب شعور المُستعمر بفوقية على الشعوب المحتلة. كما أن العنف يوضح درجة قوة الشعوب المحتلة، الأمر الذي يهدد مؤسسات النظام الكولونيالي. بالنسبة لفانون، فإن العنف الثوري ليس فقط عنفاً مادياً لإنهاء الاحتلال وإقصائه عن الأرض. ولكنه يتعلق بتحرير ذاتية الشعب المحتل فله أثر نفسي بجانب الأثر المادي. رأى فانون أن العنف الثوري من شأنه أن يخلق ذاتية جماعية وثقافة لدولة جديدة والقضاء على الشعور بالآلام التي خاضها الشعب أثناء الاحتلال وفي النهاية يهدف ذلك لخلق إنسان جديد له طريقة تفكير جديدة^(٩).

^(٩) Franz Fanon (2005), **The Wretched of the Earth**, Richard Philcox (Trans.), (New York: Grove Press).

Edmund Burke III (1976). "Frantz Fanon's 'The Wretched of the Earth.'" **Daedalus**, vol. 105, no. 1, 1976, pp. 127–35.

Alberto Castelli (2022), Liberation through violence in Fanon's *The Wretched of the Earth*: Historical and contemporary criticisms, **Peace and Change**, Volume 47, Issue 4, PP. 325-340.

في هذا الكتاب قدّم فانون رؤيته للظلم الواقع على النساء. وفي كتاب لاحق بعنوان "العام الخامس للثورة الجزائرية" أو "الاستعمار يموت" (١٠)، تناول بالتفصيل كفاح المرأة الجزائرية للتحرر من الاستعمار. فقد أدرك فانون محاولة الاستعمار الفرنسي تمزيق المجتمع الجزائري والقضاء على هويته وشخصيته المعنوية. فعمل على التأثير على شخصية المرأة الجزائرية ودمجها في المجتمع الفرنسي. بدءاً من نزع الحجاب عنها ووضع قيود على ملابس السيدات في الجزائر.

أدرك فانون أن الاستعمار عرف أن من أسرار تماسك المجتمع الجزائري هو قوة المرأة الجزائرية والدليل على ذلك المواقف البطولية للنساء الجزائريات أثناء ثورة التحرير الجزائرية ومن أمثلة تلك النساء جميلة بوحيرد. أيقنت النساء حينذاك أن الاحتلال يسلب الضوء على تغيير معتقداتهن إدراكاً من الاحتلال أنه من خلال تغيير قيم النساء يمكن تغيير قيم المجتمع الجزائري. فكان لدى المرأة الجزائرية دوراً كبيراً في الحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية ومواجهة محاولة الاستعمار الفرنسي سلب هويتها واستلابها من خلال ادماجها في الثقافة الفرنسية. وبالتالي انتقد محاولة الاستعمار الفرنسي نزع الحجاب "الحايك" عن المرأة.

وفي هذا الكتاب أيضاً أشار إلى أهمية الراديو في إيصال صوت الثورة الجزائرية للجماهير ونقل انتصاراتها ومواجهة دعاية الاحتلال الفرنسي. ولذا أشاد بإذاعة صوت الجزائر الحرة والذي كان مؤشراً على أنه الراديو لم يعد جزء من ترسانة القمع الثقافي للاحتلال (١١).

قام الاستعمار الفرنسي بتعمد هدم الثقافة الجزائرية ولذا قام فانون بمساعدة مرضاه للتأكيد على الهوية الجماعية للجزائريين وذلك لمواجهة الاغتراب الذي فرضه الاستعمار الفرنسي. كان الجزائريون يذهبون إلى الأطباء الفرنسيين لشعورهم بالألم ولكن عند فحصهم لم يكن لديهم أية أعراض جسدية عضوية وهو ما يشير إلى أن الألم كان ألماً

(10) Franz Fanon (1994), **A dying colonialism**, Haakon Chevalier (Translator), (New York: Grove Press).

(١١) طهيري عماد الدين، الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فرانز فانون "قانون وتثقيف الثورة الجزائرية"، منيرفا، مجلد ٣، عدد ٦، جوان ٢٠١٧.

نفسياً بالدرجة الأولى. كانت العنصرية تجعل الجزائريين يشعرون بالمرض والألم. فلدى فانون لا يمكن فصل الألم النفسي من الظروف الاجتماعية.

رابعاً: التشابه بين كفاح الشعب الجزائري والفلسطيني للتحرر من الاحتلال:

إذا الشَّعْبُ يوماً أرادَ الحياةَ، فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدْرُ، ولا بُدَّ للَّيْلِ أنْ يَنْجِلِي، ولا بُدَّ للقيَد أنْ يَنْكَسِرَ،،

أبو قاسم الشابي

هذا الشعر لأبي قاسم الشابي يتماثل مع أفكار فرانز فانون. الذي رأى أنه لا مفر من خلال الشعوب المحتلة من الاستعمار حتى وإن طاللة المدة وإن عظم الثمن المدفوع من أجل الخلاص من المحتل.

لم يحصل الشعب الجزائري على الاستقلال بين يوم وليلة. فقد كانت رحلة الكفاح طويلة وعُرفت الجزائر ببلد المليون شهيد. وهو ما يتشابه مع كفاح الشعب الفلسطيني الذي استمر لعقود طويلة. استمر الاحتلال الفرنسي للجزائر على مدى ١٣٢ سنة وانتهى في الخامس من يوليو عام ١٩٦٢، بعد مقاومة امتدت من عهد الأمير عبد القادر الجزائري إلى جبهة التحرير التي شنت حرب استقلال استمرت من سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٦٢. بدأ الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين منذ عام ١٩٤٨ تأسيساً على وعد بلفور لعام ١٩١٧ الذي عُرف بأنه "وعد من لا يملك لمن لا يستحق".

تشابه الاعتماد على العنف الشديد من قبل الاحتلال الفرنسي في الجزائر والاحتلال الاسرائيلي في فلسطين. وقد استمرت مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر نحو ١٣٢ سنة. وفيما يتعلق بالاحتلال الاسرائيلي لفلسطين فقد مر سبعة وسبعين عاماً على هذا الاحتلال الذي شهد فيه الشعب الفلسطيني أبشع صور العنف من قبل قوى الاحتلال.

تعرض الشعب الجزائري والشعب الفلسطيني لمحاولة الاغتراب وهو محاولة استلاب هويتهم وقوميتهم. هذا الاغتراب أشار إليه فانون في كتاباته. فهو ليس الاغتراب الاقتصادي الذي أشار إليه ماركس وإنجلز.

أشار ماركس وإنجلز بوضوح إلى الاغتراب الاقتصادي الذي يشعر به العامل عندما تستبعد عملية الانتاج الإنسان والطبقة العامل تُصبح آلة بيد الطبقة الرأسمالية المستغلة. وهنا يفقد العامل الصلة الحية بينه وبين عمله. وهو ما يولد آثار اجتماعية ونفسية سيئة على العمال. والحل هو الملكية العامة لوسائل الانتاج ولذلك لا بد أن تسود

الاشتراكية^(١٢). فعند فانون لا يعني الاستلاب فقط هذا الاستلاب الاقتصادي ولكنه استلاب متعدد الأبعاد فهو استلاب اقتصادي وسياسي وثقافي.

لذا من وجهة نظر فانون لا سبيل للخلاص من التحرر الفكري والثقافي والاقتصادي إلا بالخلاص من المستعمر وإنهاء وجوده في الأراضي المحتلة.

خامساً: حق تقرير المصير بين ثورة التحرير الجزائرية والمقاومة الفلسطينية:

نشأ مفهوم حق تقرير المصير إشكالياً، فقد دارت حوله الكثير من الجدالات على مستوى الحكومات والشعوب كما دار النقاش حوله في المحافل الدولية. وقد حدث تطور دلالي للمفهوم في ظل هذه النقاشات التي تميزت بعدم الاتفاق والجدال المستمر ونظراً لأن المفاهيم بصورة عامة تتطور وتنتقل لمساحات جديدة مع مرور الزمن. وقد لعب هذا المفهوم دوراً جلياً في تاريخ القانون الدولي والعلاقات الدولية.

تعددت دلالات مفهوم حق تقرير المصير ليشمل إما إقامة دولة مستقلة ذات سيادة، أو الارتباط ارتباطاً حراً بدولة مستقلة، أو الاندماج في دولة أخرى. وممارسة حق تقرير المصير تتم بإحدى طريقتين إما بالوسائل السلمية أي من خلال الاستفتاء الشعبي أي حرية الشعب في اختيار حكومته وتقرير مستقبله السياسي أو الوسائل الكفاحية الثورية والتي قد تأخذ أحياناً شكل الكفاح المسلح الذي تقوم به حركات ومنظمات التحرر الوطنية^(١٣).

وقد نشأ مفهوم "حق تقرير المصير" نتيجة لحاجة الجماعة الدولية لحل مشكلات مجتمعات مختلفة، وقد تركز المبدأ في البداية للتحرر من الاستعمار فكانت هناك حركات ثورية تنادي بضرورة التحرر من الاستعمار لا سيما فيما بعد الحرب العالمية الأولى.

⁽¹²⁾ Karl Marx & Frederick Engels (1969), **Manifesto of the communist party**, Samuel Moore & Frederick Engels (Trans.s), (Moscow: Progress publishers).

⁽¹³⁾ إبراهيم العايش علي العايش (٢٠١٣)، موقف الأمم المتحدة من العلاقة بين مبدئي السلامة الإقليمية للدول والحق في تقرير المصير: "دراسة قانونية سياسية لفترة ما بعد الحرب الباردة"، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، ص ٣٩-٤٢.

وقد تعددت الظروف الموضوعية التي جعلت من الضروري تبني مبدأ حق تقرير المصير خاصة مع حصول أغلب دول العالم على استقلالها، وسرعان ما بدأت تظهر إشكالية التعارض بين مبدأ تقرير المصير ومبدأ السلامة الإقليمية للدول. وقد اختلف مبدأ تقرير المصير من عصر إلى آخر تبعاً للعديد من الأسباب ومن بينها ما يكتنف هذا الحق من غموض في التحديد وباختلاف المعطيات السياسية والاجتماعية والفلسفية^(١٤).

ويرتبط مفهوم حق تقرير المصير بمفاهيم أخرى تتشابه معه مثل مفهوم السيادة الوطنية والسيادة الإقليمية والسلامة الإقليمية للدول والوحدة الترابية للأرض، وهو ما أثار العديد من الإشكاليات القانونية والسياسية في دول مختلفة حول العالم. مفهوم "حق تقرير المصير" مبدأ سياسي قانوني دولي. وتاريخياً كان المفهوم في القرن التاسع عشر يعبر عن حق كل قومية في بناء دولة خاصة بها، ثم تطور في القرن العشرين يدل على حق الشعب الطبيعي في اختيار مستقبله السياسي وتقرير نوع السلطة أو شكل الدولة التي يريد أن يخضع لها. بدأ هذا المفهوم في الظهور مع الثورة الفرنسية من خلال مطالب الثوريين بضرورة مقاومة الامبراطوريات الأوروبية الرجعية التي كانت تشن حملة ضارية للقضاء على النظام الجديد الذي دشنته الثورة الفرنسية حينذاك. وارتبط هذا الحق طيلة القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين (١٩١٨) بمسألة القوميات في أوروبا بشكل عام وفي الامبراطورية النمساوية المجرية بشكل خاص.

ثم تم صك هذا المفهوم صراحة من قبل الرئيس الأمريكي السابق وودرو ويلسون الذي تبني المبادئ الأربعة عشر لحقوق الإنسان ومنها "حق تقرير المصير"، فقد أعلن أنه من حق كل شعب أن يقرر مصيره بنفسه ويبني دولته الخاصة به. وتأثر بتلك المبادئ كل القوميات والأقليات التي طمحت في تقرير مصيرها وفي المقابل اعترضت الدول الكبرى على ذلك لأنه من الممكن أن يُعاد رسم خريطة العالم السياسية بشكل يتعارض مع مصالحها. ولذا فاستعاض عن حق تقرير المصير في تلك الفترة بنظام

^(١٤) عبد الرحمن بشير مفتاح المرغني (٢٠١٣)، قضية الصحراء الغربية في إطار الأمم المتحدة:

دراسة مقارنة لفترتي الحرب الباردة وما بعدها في ضوء مبدأ الحق في تقرير المصير، رسالة

دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، ص ١١.

الوصاية والانتداب^(١٥). وقد تم اللجوء إلى حق تقرير المصير بشكل متزايد بعد أن تم تقنينه في ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ مما أتاح للملايين في آسيا وأفريقيا نيل استقلالهم الوطني عن طريق إعمال هذا المبدأ باعتباره أهم مقومات حرية الشعوب المؤيدة لاستقلالها.

ويمكن تعريف حق تقرير المصير بأنه حق الشعوب غير المتمتعة بالحكم الذاتي في اختيار النظام السياسي لها، ونوع الحكومة التي ترتضيها هذه الشعوب دون تدخل خارجي. كما تم طرح تعريفات أخرى لحق تقرير المصير بأنه مصطلح سياسي يعني حق كل مجتمع له هوية جماعية متميزة، مثل الشعب والمجموعة العرقية، تقوم من خلاله بتحديد أهدافه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية وأن يختار النظام السياسي الذي يناسبه، من أجل تحقيق رفاهيته ومتطلباته دون أية تدخلات أجنبية، فمن حق كل شعب أن يختار نظامه السياسي والاقتصادي.

وقد أشار بعض الفقهاء إلى أن حق تقرير المصير كحق جماعي من حقوق الإنسان إنما ينصرف فقط إلى حالات الشعوب الخاضعة للاحتلال أو السيطرة الاستعمارية، وبالتالي لا يجوز الاحتجاج بهذا الحق من جانب جماعة معينة تعيش داخل الدولة.

وفي المواثيق الدولية، جاء عهد عصبة الأمم خالياً من النص بالحق في تقرير المصير إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية، وذاق العالم من آثارها المدمرة وآلامها الكثير، الأمر الذي دعا الدول الكبرى إلى الجلوس إلى مائدة التفاوض لوضع صيغة تنظيم عالمي سلامة أراضيهم واستقلالهم السياسي. ولكن بالنظر إلى ميثاق الأمم المتحدة فقد أكد على حق تقرير المصير للشعوب في الأحكام الواردة في المادتين (٢/١) والمادة (٥٥) من الميثاق حيث دعى الميثاق إلى إنماء العلاقات الودية بين الأمم وفقاً للمساواة في الحقوق بين الشعوب وأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وأن تكون هذه العلاقات مؤسسة على احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية بين الشعوب والحق في تقرير مصيرها. وبعد تبني الأمم المتحدة لمبدأ تساوي الشعوب في الحقوق وحقها في تقرير مصيرها بدأت سلسلة من التطورات الهامة على صعيد الارتقاء بالمبدأ وسعياً نحو

^(١٥) عبد الوهاب الكيالي وآخرون (محررون)، موسوعة السياسة، الجزء الثاني، _____، ص ص ٥٥٥-٥٥٦.

عالمية تطبيقه، ومن أهم التطورات العهدين الدوليين لحقوق الإنسان الذين تضمها النص على حق كافة الشعوب في تقرير المصير، وصدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٥١٤ (د ١٥) لعام ١٩٦٠ وهو المعروف باسم إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة، وهو بمثابة وثيقة تاريخية لها أثرها البالغ على مضمون حق تقرير المصير. وأخيراً قرار الجمعية العامة رقم (٢٦٢٥) (د-٢٥) لعام ١٩٧٠ الذي اشتهر بـ"إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقاً لميثاق الأمم المتحدة هذا فضلاً عن عشرات القرارات الأخرى التي أصدرتها الأمم المتحدة الي تدعو صراحة إلى احترام حق تقرير المصير^(١٦).

فيما يتعلق بثورة بالقضية الجزائرية، استمرت مطالبات الجزائريين بتقرير المصير لمدة ١٣٢ عاماً طيلة الاستعمار الفرنسي للجزائر حتى نجح الجزائريون في الحصول على الاستقلال من الاستعمار الفرنسي في الخامس من يوليو لعام ١٩٦٢. ظلت الجزائر، التي أصبحت بفضل تاريخ نضالها المجيد ضد الاستعمار عنصراً أساسياً في حركات التحرر في جميع أنحاء العالم، تؤكد منذ انتزاع استقلالها من المحتل الفرنسي عام ١٩٦٢، على تضامنها مع جميع شعوب الاقاليم المستعمرة التي تتطلع إلى ممارسة حقها في تقرير المصير.

أسهمت الجزائر في العمل على إصدار قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٥١٤ الذي تم تبنيه في ١٤ ديسمبر ١٩٦٠، والذي كان بمثابة تنويع لجهود العديد من الدول التي تسعى للسلام والعدالة منذ مؤتمر باندونغ (اندونيسيا) في ١٩٥٥، ضد النظام الاستعماري الذي كان سائدا وقتها في مناطق معينة من العالم^(١٧).

وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، يستند الفلسطينيون على قرارات الأمم المتحدة التي تربط بين تقرير المصير والتحرر من الاستعمار. كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أعلنت قانونية النضال من أجل التحرر أصدرت في ١٨ ديسمبر ١٩٧٢ قرارها الذي أكد قانونية النضال من أجل التحرر الوطني، والتمييز بين هذا النضال وظاهرة الإرهاب، فكان مضمون القرار التأكيد على الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع

^(١٦) إبراهيم العايش، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦-٤٢.

^(١٧) وكالة الأنباء الجزائرية، الجزائر مدافع قوي عن حق تقرير المصير لشعوب البلدان المستعمرة، <https://www.aps.dz/ar/algerie/136147-2022-12-14-12-37-41>

الشعوب الواقعة تحت الاستعمار، وتدعيم شرعية نضالها خصوصا نضال الحركات التحررية، ورسمت أهم معالم هذا النضال وأبرزها أن نضال الشعوب الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية والأجنبية والأنظمة العنصرية في سبيل تحقيق حقها في تقرير المصير والاستقلال هو نضال شرعي ويتفق مع مبادئ القانون الدولي، وأن أى محاولة لقمع الكفاح ضد السيطرة الاستعمارية والأجنبية والأنظمة العنصرية مخالفة لميثاق الأمم المتحدة ولإعلان مبادئ القانون الدولي^(١٨). ولكن على أرض الواقع لم يستطع الفلسطينيون استخدام هذا المبدأ للمطالبة بحقوقهم الشرعية حتى مع مساعي منظمة التحرير الفلسطينية لتكوين دولة مستقلة في السابق أو من خلال مقترحات كامب ديفيد بشأن الحكم الذاتي للفلسطينيين.

تعتبر القضية الفلسطينية من بين ثوابت السياسة الخارجية للدولة الجزائرية، التي اهتمت بالقضايا العادلة في جميع أنحاء العالم. وتستمر الجزائر في دعم الشعب الفلسطيني والاستجابة لندائه والبقاء الى جانبه حتى تجسيد حقوقه المشروعة في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم، على النحو المنصوص عليه في قرار الأمم المتحدة ١٩٤ لعام ١٩٤٩^(١٩).

تبذل الجزائر جهوداً حثيثة من أجل الدفاع عن القضية الفلسطينية. فقد صرح مندوب الجزائر الدائم لدى الأمم المتحدة أن هدف الجزائر وضع حد للإبادة الجماعية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وتحديد الأطفال والنساء. وأكد أنه من غير المنطقي وغير المقبول لا سياسيا ولا إنسانيا ولا أخلاقيا "أن يبقى مجلس الأمن - باعتباره الهيئة المسؤولة عن حفظ السلم والأمن الدوليين - مكتوف الأيدي وعاجزا تماما عن إيقاف هذه الجرائم البشعة في حق الشعب الفلسطيني الأبي". وأشار أن الوفد الجزائري لدى الأمم المتحدة طالب بوقف فوري ودائم لإطلاق النار، والانخراط في مسار تسوية عادلة ونهائية للقضية الفلسطينية تقوم على تمكين الشعب الفلسطيني

(18) محمد السعيد إدريس، حق تقرير المصير بين الفلسطينيين والأكراد،

<http://www.ahram.org.eg/NewsQ/608727.aspx>

(19) وكالة الأنباء الجزائرية، الجزائر مدافع قوي عن حق تقرير المصير لشعوب البلدان المستعمرة،
<https://www.aps.dz/ar/algerie/136147-2022-12-14-12-37-41>

من حقوقه المشروعة وغير القابلة للتصرف في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية. يُذكر أن الجزائر هي حالياً عضو غير دائم في مجلس الأمن^(٢٠).

سادساً: انتقاد أفكار فرانز فانون:

انتقد بعض الكتاب والمفكرين أفكار فانون بالتحديد من خلال منظوره عن العنف مثل المفكرة حنا أرندت التي انتقدت رؤية فانون بضرورة اتباع العنف للحصول على الاستقلال. رأى فانون العنف هو وسيلة ضرورية للعمل السياسي وأنها لها قوة وطاقه. رأت أرندت أن العنف لا يمكن توقع آثاره، لأن الغاية النهائية قد تكون معادية للسياسة، ومن الخطأ أن يتم التأقلم مع العنف.

قدّم فانون وأرندت رؤى متناقضة حول العلاقة بين السياسة والعنف. فقد رأى فانون أن العنف ضروري في السياسة بينما رأت أرندت أن العنف يدمر السياسة. يرى فانون أن الاستعمار يولد العنف داخل المجتمع. ولا يمكن إنجازه إلا بالتحول الهيكلي والتي لا يمكن للأحزاب أن تغيرها. فالعنف لدى فانون هو العنف الجسدي الذي اقترفه الاحتلال والذي لا يحقق أي سلم. كان العنف هو سلاح أساسي في يد الاستعمار من خلال سياسات الفصل العنصري الابارتهايد^(٢١). فقد وضعت حنا أرندت تعريفاً متناقضاً مع فرانز فانون حول تعريف كلاً من القوة واستخدامات القوة والعنف.

في فصل بعنوان "عن العنف" من كتاب "معذبو الأرض"، يتناول فانون الأسباب التي تدفع الشعوب المحتلة إلى اتخاذ العنف كنهج أحياناً. إن الاستعمار يتم من خلال العنف ويرى فانون أن الخلاص من هذا العنف يمكن أن يكون من خلال العنف أيضاً وذلك للخلاص من الاستعمار والاحتلال. كتب فانون "معذبو الأرض" كرد فعل للمآسي التي رآها في حرب التحرير الجزائرية والصراعات من أجل التحرر من الاستعمار في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية. رأى فانون أن العنف هو الوسيلة الجوهرية للخلاص من الاستعمار لذا آمن بفكرة العنف الثوري^(٢٢). في كتابها "عن العنف" تشير حنا أرندت أن السياسة لا يمكن أن تنبع من العنف. فقد انتقدت مقولة ماو تسي تونج أن القوة السياسية

^(٢٠) الأمم المتحدة، الجزائر تؤكد أن الدفاع عن القضية الفلسطينية على رأس أولويات أجندة عضويتها

في مجلس الأمن، <https://news.un.org/ar/story/2024/01/1127372>، ٢ يناير ٢٠٢٤.
^(٢١) Elizabeth Frazer and Kimberly Hutchings (2008), On Politics and Violence: Arendt Contra Fanon, **Contemporary Political Theory**, pp. 90-108.

^(٢٢) Alberto Castelli, Op.Cit..

تتبع من فوهة البندقية "مؤكدة أن القوة والعنف متضادان، وعندما يحكم العنف تنتهي القوة السياسية"^(٢٣).

وبالنظر إلى أعمال المفكر فرانز فانون لابد أن ننظر إلى هذا العمل في ظل الظروف التي كان يعمل بها وفي العصر الذي عاش فيه. فقد نبغ فكره بناء على تأثره بشكل كبير بنشأته في جزء المارتينيك الفرنسية التي كانت مستعمرة ثم سرعان ما ذهب ليري بعينه توحش الاستعمار بكل قسوة من خلال عمله بمستشفى الأمراض العصبية والعقلية بالبلدة. رأى معاناة الشعب الجزائري لسياسة الاستعباد والاضطهاد لذا نشأ سياسياً مطالباً بإنهاء العنف. فلم يؤمن بالعنف من أجل العنف ولكنه رأى أنه قد يكون أداة لمرحلة من الوقت للخلاص من المستعمر. فقد تشابهت أفكاره مع أفكار كارل ماركس وانجلز في كتابهما "البيان الشيوعي" الذي أكدا فيه أن الثورة بالضرورة عنيفة فلا يمكن إسقاط النظام المجتمعي القائم إلا بالعنف^(٢٤).

بالطبع هذا يختلف عن نهج كثير من قادة التغيير السياسي في العالم الذين رأوا أنهم يمكنهم الخلاص من الاستعمار من خلال أسلوب اللا عنف والمثال الأبرز على ذلك مهاتما غاندي الذي اتخذ منهج اللا عنف للخلاص من الاستعمار البريطاني للهند. فذا نظرنا إلى فكر مهاتما غاندي على سبيل المثال فقد آمن بفكرة "الساتياجراها" أو "اللاعنف" وقام بتطبيقها في الهند للخلاص من الاستعمار البريطاني. تعني الساتياجراها الإصرار على الحق والتمسك بالحقيقة وهي فلسفة تركز على اللا عنف^(٢٥). كان غاندي قد تأثر بالمبدأ الديني "أهمساً" الموجود في البوذية والهندوسية والذي يعني ضبط النفس وعدم إلحاق الإضرار بالآخرين^(٢٦).

(23) Hannah Arendt (1970), **On Violence**, (California: Harcourt Brace Javanovich).

(24) Karl Marx & Friedrich Engels (1969), Op.cit.

(25) M.K. Gandhi (2001), **Non-Violent Resistance (Satyagraha)**, (New York: Dover Publications).

(26) B R Nanda, Gandhi And Non-Violence: Doctrines of Ahimsa and Satyagraha, **World Affairs**, Jan-March 2002.

خاتمة:

يغوص بنا مشرط الطبيب فرانز فانون متوغلاً داخل الجسد المجتمعي مستخرجاً أحشائه كاسراً كل المحاذير فهو طبيب يبتز من الجسد العنصر الفاسد الذي سرت فيه غرغرينا الظلم والعنف من جراء الاستعمار والاحتلال. بالرغم من كونه طبيباً نفسياً لا جراحاً وليس جراح إلا أنه استطاع من خلال مؤلفاته أن يُلقي الضوء على الآثار النفسية للعنف التي لا يمكن للضحايا الشفاء منها بسهولة.

قبل قرون طويلة رأى المفكر أرسطو أن وظيفة المفكر السياسي هي أشبه بدور الطبيب. لأن المفكر السياسي لابد أن يقدم روصة لعلاج الأمراض في المجتمع مثلاً يقوم الطبيب لعلاج المريض.

كما تناول المفكر ميشل فوكو ذلك في "تاريخ العيادة" لأن علم التشريح نجح في فتح جسد المرضى وبالتالي أدى إلى معرفة جديدة وبالتالي إلى قوة. ولذلك كان فوكو يقول "الرؤية فخ" Visibility is a trap فمجرد أن يرى شخص ما الآخر يقبع في مصيدته وهذا يصدق على ممارسات الطبيب حيث يمتلك القوة والسلطة على المريض⁽²⁷⁾. ولكن أثار هذا تساؤل آخر حول إذا كان فرانز فانون قد نجح في التشخيص فلماذا لم يستكمل وظيفته كطبيب في تقديم العلاج. كان فانون مفكراً سياسياً ومناضلاً وطبيباً. فمن خلال رؤيته للمرضى في أثناء عمله في مستشفى البليدة بالجزائر رأى المرضى عن قرب وقرر أنه لا يرغب في أن يكون فقط معالج للمرضى بل رأى أنه لابد من أن تكون هناك إجراءات وقائية لمنع العنف ولا سبيل لذلك سوى بالانضمام إلى الفدائيين.

وقد تأثر فانون كثيراً بدراسته في المدارس الفرنسية وبدراسته للطب النفسي بجامعة ليون الفرنسية. وكان لدراسته وتلقيه للتعليم في أفضل وأعرق المدارس والجامعات الفرنسية دوراً كبيراً في قدرته على نقل أفكاره إلى المجتمع الفرنسي والغربي بصورة عامة وهو ما قام به إدوارد سعيد أيضاً الذي تلقى تعليمه بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ثم سافر إلى أمريكا ليدرس كطالب ثم كأستاذ في أعرق الجامعات الأمريكية. ذلك أسهم في أن تنتشر أفكارهم بصورة واسعة وذلك لقدرتهم على مخاطبة المجتمعات الغربية بلغتهم.

(27) Michel Foucault (1994), The Birth of the Clinic: An Archaeology of Medical Perception, (New York: Vintage).

بالرغم من أن كتابات فرانز فانون لم تتناول القضية الفلسطينية تحديداً، ولكن هناك تشابهات جمة بين ما كان يسرده عن واقع الاحتلال الفرنسي للجزائر ولعدد من دول العالم الثالث وما يقع حالياً في فلسطين. ففي فلسطين لا تنتهي أعمال العنف الدموية. فقد تم قتل آلاف الأطفال والنساء والشيوخ والرجال العزل في مرأى من العالم وبالمخالفة لكل الأديان والمعتقدات والاتفاقيات الدولية في إطار القانون الدولي الإنساني وأبرزها معاهدات جنيف لعام ١٩٤٩. فقد تم استهداف المدارس ودور العبادة من مساجد وكنائس ومستشفيات. فقد تم ارتكاب جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية والتطهير العرقي بغرض تصفية القضية الفلسطينية. مثال على ذلك المجازر التي ارتكبت في المستشفى المعمداني، جباليا، مدرستي الفاخورة وتل الزعتر، ومستشفى كمال عدوان. مخيم المغازي، الطحين، مستشفى الشفاء، النصيرات، والمواصي. وتستمر هذه المجازر حتى هذه اللحظة.

فإعادة قراءة كتابات فانون على الواقع الفلسطيني منذ نشأة إسرائيل في عام ١٩٤٨ ارتكبت الحكومة الإسرائيلية العديد من المجازر ومنذ بدء عملية "طوفان الأقصى" في يوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ زاد عدد هذه المجازر وحدتها. وهو ما أدى إلى مقتل الآلاف وإصابة الآلاف بإصابات جمة بالإضافة إلى التأثير النفسي شديد الخطورة على الفلسطينيين الذي تناوله فانون في كتابه. فيعمل الاحتلال على توجيه الضربات النفسية للشعوب التي يقوم باحتلالها للتأثير على وحدته وتماسكه وهويته.

إن دراسة فانون عن الكولونيالية وتأثيراتها على المحتل تقدم لنا منظوراً يمكن من خلاله تحليل كفاح الشعب الفلسطيني من أجل تقرير المصير. يرى فانون أنه عندما يُحرم المواطن من حقوقهم الأصلية ويتم احتلال أراضيهم، فإن العنف يُصبح هو المآل المتوقع. لذا فلا شك أن أحداث السابع من أكتوبر كانت متوقفاً. فباستخدام منظور فانون في تحليل حركات التحرر الوطني فطالما كان الطريق من أجل الحصول على الاستقلال طريق صعب وطويل من أجل إحلال السلم والعدل. وبالتركيز على فكر فانون تحديداً فلا بد من تحليل التأثيرات النفسية على الشعب الفلسطيني من جراء الاحتلال الإسرائيلي وخصوصاً على الأطفال الذين تعرضوا للعديد من الصدمات والمواقف الصعبة التي لا يقدر على تحملها أي إنسان. كما أشار فانون إلى أهمية الخطاب

الإعلامي سواء داخل الوطن أو في الخارج من أجل دعم وإقناع العالم أجمع بقضية التحرر الوطني وقد كان الراديو والمؤتمرات الدولية هي الأدوات الإعلامية الأساسية التي استخدمت في ذلك الوقت ولكل عصر أدواته. فلا بد أن يتم العناية بشكل جيد بوسائل الإعلام الجماهيرية وهو ما حدث إبان ثورة التحرير الجزائرية عندما كان الراديو هو صوت الشعب الجزائري للعالم أجمع. اهتم الفرنسيون بالراديو كأداة إعلامية لنشر الثقافة والقيم الفرنسية للجزائر ولكن في أثناء حرب التحرير الجزائرية استخدمه الجزائريون كأداة لنشر أخبار انتصارات الثورة الجزائرية ولتوطيد التلاحم والوحدة الوطنية بين الجماهير⁽²⁸⁾. فلذلك فإن العناية بوسائل الإعلام الجماهيرية ضرورة لإنجاح حركات التحرر الوطني والخلص من الاحتلال. هذا بالإضافة إلى التركيز على كيفية التعافي من الآثار النفسية الجمة التي يصيبها المحتل في الشعوب التي تتعرض للاحتلال لا سيما الأطفال الذين يتأثرون بشكل كبير بتروما الحروب.

(28) Franz Fanon (1994), A Dying Colonialism, Haakon Chevalier (Trans.), Op.Cit.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

الكتب:

- عبد الوهاب الكيال، وآخرون (محررون)، موسوعة السياسة، الجزء الثاني، _____،
- **المجلات العلمية:**
- إكرام بن عيسى، حياة فرانز فانون ونضاله مع الثورة الجزائرية (١٩٢٥-١٩٦١)، مجلة القرطاس، العدد الثامن، جانفي، ٢٠١٨.
- صالح الدين ملفوف، الثورة الجزائرية في فكر فرانز فانون، مجلة تمثلات/ جامعة مولود معمري تيزي وزو، المجلد ٨ العدد ١ لسنة ٢٠٢٤، ص ص ٢٠-٣٦.
- طهيري عماد الدين، الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فرانز فانون "فانون وتنقيف الثورة الجزائرية"، منيرفا، مجلد ٣، عدد ٦، جوان ٢٠١٧.

الرسائل العلمية:

- إبراهيم العايش علي العايش (٢٠١٣)، موقف الأمم المتحدة من العلاقة بين مبدأي السلامة الإقليمية للدول والحق في تقرير المصير: "دراسة قانونية سياسية لفترة ما بعد الحرب الباردة"، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، ص ص ٣٩-٤٢.
- عبد الرحمن بشير مفتاح المرغني (٢٠١٣)، قضية الصحراء الغربية في إطار الأمم المتحدة: دراسة مقارنة لفترتي الحرب الباردة وما بعدها في ضوء مبدأ الحق في تقرير المصير، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية.

المواقع الإلكترونية:

- الأمم المتحدة، الجزائر تؤكد أن الدفاع عن القضية الفلسطينية على رأس أولويات أجندة عضويتها في مجلس الأمن، <https://news.un.org/ar/story/2024/01/1127372>، ٢ يناير ٢٠٢٤.
- محمد السعيد إدريس، حق تقرير المصير بين الفلسطينيين والأكراد، <http://www.ahram.org.eg/NewsQ/608727.aspx>
- وكالة الأنباء الجزائرية، الجزائر مدافع قوي عن حق تقرير المصير لشعوب البلدان المستعمرة، -37-12-14-2022-136147-ar/algerie، <https://www.aps.dz/ar/algerie/136147-2022-12-14-12-37->

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

الكتب:

- Franz Fanon (1994), **Towards an African Revolution**, Haakon Chevalier (Trans.), (New York: Grove Press).
- Franz Fanon (1994), **A dying colonialism**, Haakon Chevalier (Translator), (New York: Grove Press).
- Franz Fanon (2005), **The Wretched of the Earth**, Richard Philcox (Trans.), (New York: Grove Press).
- Franz Fanon (2008), **Black Skin, White masks**, Richard Philcox (Trans.), (New York: Grove Press).
- Hannah Arendt (1970), **On Violence**, (California: Harcourt Brace Javanovich).
- Karl Marx & Frederick Engels (1969), **Manifesto of the communist party**, Samuel Moore & Frederick Engels (Trans.s), (Moscow: Progress publishers).
- Michel Foucault (1994), **The Birth of the Clinic: An Archaeology of Medical Perception**, (New York: Vintage).
- M.K. Gandhi (2001), **Non-Violent Resistance (Satyagraha)**, (New York: Dover Publications).

الدوريات العلمية:

- Alberto Castelli (2022), Liberation through violence in Fanon's The Wretched of the Earth: Historical and contemporary criticisms, **Peace and Change**, Volume 47, Issue 4, PP. 325-340.
- B R Nanda, Gandhi And Non-Violence: Doctrines of Ahimsa and Satyagraha, **World Affairs**, Jan-March 2002.
- Edmund Burke III (1976). "Frantz Fanon's 'The Wretched of the Earth.'" **Daedalus**, vol. 105, no. 1, 1976, pp. 127–35.
- Elizabeth Frazer and Kimberly Hutchings (2008), On Politics and Violence: Arendt Contra Fanon, **Contemporary Political Theory**, pp. 90-108.

المواقع الالكترونية:

- Frantz Fanon, <https://www.britannica.com/biography/Frantz-Fanon>
- I Have a Dream speech by Martin Luther King.Jr HD (subtitled), <https://www.youtube.com/watch?v=vP4iY1TtS3s>
- Franz fanon (2019), <https://plato.stanford.edu/entries/frantz-fanon/>